- التطور التاريخي للقياس النفسي:

تشير الحقائق التاريخية أن القياس قديم قدم المحاولات الأولى التي بدأ فيها الإنسان في تعليم أبنائه وأقرانه في ممارسة الحياة وتجاوز صعوباتها، إذ أن بقايا الرقم الطينية والنصب الحجرية والبرونزية التي كشفت في كثير من البلدان لاسيما تلك البلدان التي سادت فيها الحضارات القديمة ماهي إلا شواهد مادية تدل على أن الإنسان الأول كان قد مارس القياس في أبسط صورة.

ولما كان القياس موغل في القدم لابد من أن تكون دلائله حاضرة، إذ تشير بعض المراجع إلى أن تماثيل قدماء المصرين كانت متناسقة الأجزاء على الرغم من ضخامتها وهذا دليل قاطع على أنهم قد تمكنوا من دراسة القياسات المختلفة لجسم الإنسان والتعرف على العلاقات النسبية بين أطوال وأعراض ومحيطات تلك الأجزاء، فضلاً عن قياس الأراضي الزراعية بعد الفيضان، أما في حضارات العراق فقد تميز الآشوريون بتصنيع آلات الحرب ذات الأبعاد القياسية والأنماط التنظيمية، وكذلك البابليون في تعاملهم مع مقادير الكيل والوزن ثم السومريون وغيرهم من صانعي الحضارة في العراق القديم، إذ عرفوا القياس بآلاف السنين قبل الميلاد وهذا ما تشير إليه ملحمة (كلكامش) التي ترجمها العلامة (طه باقر) وجعلت الآلهة صورة (كلكامش) كاملة تامة وكان طوله أحد عشر ذراعاً وعرض صدره تسعة أشبار، ثلثان منه اله وثلثه الآخر بشر وبتدقيق بسيط لما جاء في نص هذه الملحمة ندرك وبترابط

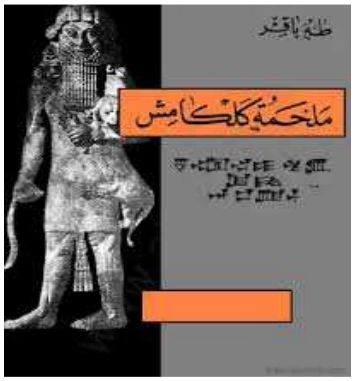

سريع أن مثل هذه المصطلحات (الذراع، الشبر، ... وغيرها) تدل على قياسات لازال قسم منها متداول حتى يومنا هذا استمراراً لما تداوله أجدادنا وأسلافنا.

أما الإغريقيون القدماء فقد مارسوا القياس لاسيما في ميدان الألعاب الرياضية، إذ كانوا يحيون احتفالاتهم بإقامة المهرجانات الرياضية التي تضم ألعاب تتطلب ساحات وملاعب ذات قياسات وأبعاد محدده وعليه فقد استخدموا أقدامهم لقياس ساحات الركض فقد كان طول ساحة الركض تبلغ

(600 قدم) أي مايقارب (200م) تقريباً، وبما أن الأقدام التي يقيس بها المنظمون للألعاب تختلف من فرد لآخر فقد جاءت قياساتهم للأطوال مختلفة مما جعل أطوال الساحات المعنية باللعب مختلفة أيضاً ولاتزال شواهد هذه الساحات قائمة وبمقاييسها القديمة حتى يومنا هذا في القرية الأولمبية في الملعب الرئيسي بمقاعده الرخامية في العاصمة اليونانية (أثينا).

أما عن **تطور القياس النفسي** فقد عرف محطات عديدة فقد شهدت نهاية القرن الثامن عشر اهتماماً بدراسة **الفروق الفردية** من خلال زمن الاستجابة أو ما يسمى بدراسة **المعادلة الشخصية** التي جرت خارج إطار علم النفس، بعد أن انتبه إليها الفلكيون في اختلاف المراقبين في المراصد الفلكية في دقتهم في الرصد، وكانت تلك الملاحظات ممهدة لظهور الاختبارات النفسية أو ماعرف لاحقا بموضوع القياس النفسي.

وشهد النصف الأول من القرن الثامن عشر اهتماماً بدراسة التخلف العقلي حيث انشأ "سيجان" Seguin 1837 أول معهد لتدريب المتخلفين عقلياً في فرنسا وقدم عدداً من الوسائل لتشخيص المتخلفين وتحديد مستواهم. وتبعه "اسكيرول" Esquirol الذي دعا إلى ضرورة التمييز بين المتخلفين عقلياً والمصابين باضطرابات عصبية، وكان يعتمد في التمييز بينهما على قدرتهم في استخدام اللغة والألفاظ، وحدد عدة درجات متباينة للتخلف العقلي تنتهي بالدرجة الدنيا من العته " low-grade idiocy". وكان إنشاء "فونت" Wundt لأول معمل تجريبي في علم النفس في مدينة "لايبزك" Leipzig الالمانية عام 1879، اثر في تطور وتشجيع حركة القياس النفسي؛ حيث كان يسعى إلى التوصل إلى أوصاف وقوانين عامة للسلوك من خلال دراسة وقياس الإحساسات السمعية والبصرية واللمسية.

وفي سنة 1882 أنشأ معملا لعلم الإنثروبولوجيا بلندن على يد العالم ف. جالتون F.GALTON والذي اهتم بقياس السمات الجسمانية والحسية للأفراد، كقياس حدة البصر والسمع وزمن رد الفعل، ولقد اعتمد جالتون على مقاييس بسيطة لا يزال الاعتماد على البعض منها حتى الآن، كما استخدم الاستفتاء، وطريقة تداعي المعاني واستخدام الإحصاء في تحليل نتائج كل الاختبارات السابقة.

واستخدام مصطلح الاختبار العقلي Mental Test أول مرة في أدبيات علم النفس عام1890، في كتابات Cattell "كاتل" والتي وصف فيها سلسلة من الاختبارات التي تقدم إلى طلاب الجامعة لتحديد مستوى ذكائهم وتركز هذه الاختبارات على التمييز الحسي وزمن الرجع التي تستخدم في تقييم المستوى العقلي للأفراد بالإضافة إلى بعض المجهودات التي قام بها الألمان والإيطاليين، ويعد بنيه BINET أبو القياس العقلي في صورته الحالية، ووضع بمعية سيمون SIMON أول اختبار للذكاء سنة 1905 والذي عدل حوالي خمس مرات، وأهم تعديل شهده كان من طرف تيرمان TEERMAN بجامعة ستانفورد الأمريكية سنة1917 بحيث توصل إلى طريقة حساب نسبة الذكاء المعروفة حاليا.

وبعد هذا أنشأت الاختبارات الجماعية، وظهر الموقوت منها وغير الموقوت، وظهرت الإجابات الشفوية والأدائية وازدادت أهمية هذه الاختبارات خاصة بعد الحرب العلمية الأولى والثانية عندما اعتمدت عليها كل من ألمانيا وأمريكا في تصنيف الجنود تبعا للتدريبات العسكرية المناسبة لاستعداداتهم، كما طبقتها للأغراض علاجية أخرى، ولم يقتصر الاهتمام بمقاييس الذكاء كقدرة عامة فحسب، بل اتجه علماء النفس إلى تصميم اختبارات نفسية تقيس القدرات والاستعدادات الخاصة وتحليل أداء الأفراد كل على حدا، وعرف علم القياس النفسي لأول مرة بطاريات الاستعدادات الفارقة، والتي تقوم بقياس عدة قدرات في نفس الوقت، مثل قياس القدرة العملية والقدرة الحسابية والقدرة اللغوية وانتقل الاهتمام بعد ذلك إلى تصميم مقاييس الشخصية، وقام العديد من المهتمين بهذا المجال بالذات أمثال كريبلن KREEPLIN وآخرون بتصميم الاستفتاءات المقننة، واختبارات المواقف والاختبارات الإسقاطية. وصممت بطاريات لقياس الشخصية ولا تزال حركة القياس النفسي تعرف التطور بعد الآخر بدليل أن بعض المقاييس قد اكتسبت شهرة عالمية، ونذكر منها:

- اختبار تفهم الموضوع **TAT**
- اختبار الروشاخ **RORCHACH.**
- اختبار رسم الرجل

وغيرها كثير جدا ساهم في بنائها العديد من المتخصصين في هذا الميدان، ولا يفوتنا الحديث هنا عن المجهودات العربية بصفة عامة ومجهودات المختصين الجزائريين بصفة خاصة سواء بتعريب بعضها أو بتصميم بعضها الآخر.